المرحلة: الثانية

أستاذ المادة: أ.م.د. بشير صباح عواد

اسم المادة: الدويلات الاسلامية في المغرب .

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic states in Morocco

اسم المحاضرة باللغة العربية: دولة الموحدين في المغرب (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) .

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية: The Almohad State in Morocco (541-668 AH / 1146-1269 AD)

دولة الموحدين في المغرب (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) .

هي دولة إسلاميّة تأسَّست في عام ٥١٥هـ/١١٢١م على يَد (ابن تومرت)، وتُنسَب إلى جماعة إسلاميّة تُؤمن بأنَّ الله –تعالى– هو وحده فوق التشبيه، وهم يُنزِّهونه عن كلِّ تشبيه له بالخَلْق، وقد ضمَّت دولة المُوحّدين في أَوْج ازدهارها مساحة جغرافيّة كبيرة؛ حيث شملت المغرب العربيّ، وامتدَّت من مصر إلى الأطلسيّ، بالإضافة إلى الأندلُس (إسبانيا حاليّاً)، واستمرَّ عهد الدولة إلى عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م.

نشأة دولة المُوحّدين:

نشأت الدولة المُوحِّدية، أو دولة المُوحِّدين في القرن السادس الهجريّ، وكان ذلك على يَد شخص يُعرَف باسم (ابن تومرت)، وهو مُحمَّد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال الذي لقَّبه الكثيرون بـ(المهديّ)، وسانده في ذلك رجلان من أصحاب العِلم، وهما: أبو مُحمَّد عبد الله بن محاسن الونشريسيّ، وعبد المُؤمن بن علي التاجريّ الكوميّ الندروميّ، ومن الجدير بالذكر أنّ ابن تومرت

اجتهدَ في دراسة اللُّغة، والدِّين في بلاد أوروبّا، والمشرق، وتبنَّى حركة دينيّة إسلاميّة تهدف في الأساس إلى إنشاء خلافة إسلاميّة ترجع بالأُمَّة الإسلاميّة إلى عهد الخُلفاء الراشدين، والتركيز على مبدأ التوحيد الخالص، ومن هنا جاء اسم الدولة (المُوحِّدية)، واسم الأنصار، والتابعين لها (المُوحِّدين)، وقد سعى ابن تومرت جاهداً؛ لنَشْر هذه الحركة الدينيّة، وأخذَ يجهر بها في كلِّ بلد يذهب إليه، ومنها العواصم العربيّة السياسيّة، والعِلميّة، مثل: مصر، وتونس، وطرابلس، وقسنطينة، ومراكش، وتلمسان، وفاس، وقد أيَّده في دعوته عدد كبير من الأتباع، ممّا مكَّنه من قيادة ثورة كبيرة، استطاع من خلالها الدعوة إلى الأصول الجامعة، والقضاء على الفروع، كما أنَّه أسَّس حكومته في المغرب العربيّ، وأضفى عليها الصبغة المهدويّة، والتأويل العقليّ.[٢] واستمرَّ ابن تومرت بحَشد الأنصار، والمُؤيّدين لدعوته، إلى أن حَظِي بمُبايعة الأُمَّة المغربيّة له؛ لتولِّي الولاية في عام ٥١٦هـ، وذلك بعد أن استطاع القضاء على دولة المُرابطين في المغرب الأقصى، علماً بأنّه استمرَّ في ولايته إلى أن تُوفِّي في عام ٥٢٤هـ، وقد استلم الحُكم من بعده عبد المُؤمن بن علي الذي وسَّع حُدود حُكمه؛ لتشمل المغرب الأقصى بأكمله في عام ٥٤١هـ، وأعلن بذلك عن نشوء دولة المُوحِّدين، كما وسَّع حُدود دولته، لتضُمَّ الأندلُس، وقُرطبة، وخاض معركة الأرك ضِدَّ الإسبان، وقضى على حُكم النورمان، والمُرابطين في مراكش، وتونس، وممّا يجدر ذِكره أنّ المغرب العربيّ تَوحَّد في عهد دولة المُوحِّدين على مذهب واحد هو مذهب الإمام مالك، وثقافة واحدة، واستطاع عبد المُؤمن بحِنكته العسكريّة تكوين جيش قويّ بلغ عدد جُنوده نحو النصف مليون مُقاتل.

بداية الصدام مع دولة المرابطين

أقام المهدي بن تومرت في مراكش وأخذ في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعترض على سياسة الدولة في بعض الأمور التي رآها مخالفة للشرع، ووعظ السلطان حين قابله في المسجد وطالبه بتغيير المنكر، فلما استفحل أمره وتجمع الناس حوله دعا الأمير "علي بن يوسف" العلماء إلى مناظرته فغلبهم بقوة لسانه وحدّة ذكائه وسعة علمه، ولم يجد الأمير مفرًا من

طرده من عاصمته، معتقدا أن ذلك كافٍ لزوال خطره على سلطانه، واتجه المهدى بأتباعه إلى "تينملل" وبدأ في تنظيمهم وإعدادهم، وجعلهم في طبقات على رأسها الجماعة التي تمثل أعلى سلطة في حكومته، وهي تتألف من عشرة رجال، كان من بينهم عبد المؤمن بن علي الكومي، ثم أخذ البيعة لنفسه في (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، واستعد لمواجهة المرابطين بجذب الأتباع والأنصار وتجهيز الحملات العسكرية التي حققت بعض الانتصارات.

وشارك المهدي في تسع غزوات منها، ولكنها لم تكن كافية لتقويض الحكم المرابطي، وشجعت هذه الانتصارات زعيم الموحدين فأرسل حملة كبيرة بلغت ٤٠ ألف جندي لمهاجمة مراكش عاصمة المرابطين والاستيلاء عليها، ولكنها لقيت هزيمة ساحقة سنة (٥٢٤ هـ/ ١١٣٠م) في معركة سميت **بمعركة "البحيرة"**، على مقربة من أسوار مراكش، وقُتل معظم الجيش الموحدي، ولم ينج من القتل سوى عدد قليل، تسلل تحت جنح الظلام إلى "تينملل"، ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى المهدي الذي كان مريضا ساءت صحته وخاب أمله ثم لم يلبث أن توفي في (٥٢٤هـ/١١٣٠م)

العصر الذهبي للموحدين:

وتولَّى حُكم الدولة المُوحِّدية بعد وفاة عبد المُؤمن خليفته (أبو يُوسف يعقوب بن يُوسف المنصور) الذي بلغت الدولة في عهده عصرها الذهبيّ، وأَوْج ازدهارها؛ حيث بُنِيت القِلاع، والمساجد، والمُستشفَيات، وغيرها من مظاهر التطوُّر، واستمرَّ المنصور في حُكمه إلى أن تُوفِّي في عام ٥٩٥هـ، واستلم الحُكم مَحلَّه ابنه (مُحمَّد الناصر)، وقد شَهِدت الدولة المُوحِّدية في عهده بداية سُقوطها؛ بسبب الهزائم المُتتالِية، واستمرَّت الدولة على ذلك إلى أن وقعت تحت حُكم بني مرين في عام ٦٦٨هـ.

النُّظم والتنظيمات في دولة المُوحِّدين:

ضمَّت دولة المُوحّدين نُظماً سياسيّة، وإداريّة، وقضائيّة، وعسكريّة، شَأنها في ذلك شَأن الدُّول الأخرى، وفيما يأتي شرحٌ لكلٍّ من هذه النُّظم:

النظام السياسيّ:

يعد الخليفة رأس الدولة، يُعرَف أيضاً ب(أمير المُؤمنين)، و(الإمام)، وقد تعاقب الخُلفاء على حُكم الدولة المُوحِّدية؛ فكان أوَّلهم ابن تومرت، وثانيهم عبد المُؤمن، ثمّ الأبناء من بني عبد المُؤمن، وكان كلُّ خليفة يحرص على إعداد وليّ عهده إعداداً جيّداً، ويلجأ في مشورته في الأمور العسكريّة، والإداريّة، والاقتصاديّة إلى الهيئة الاستشاريّة التي اختلف تشكيلها من خليفة إلى آخر.

النظام الإداريّ:

حيث تَمثَّل النظام الإداريّ في دولة المُوحِّدين بوجود عدد من الوزراء، مهمَّتهم هي تنفيذ أوامر الخليفة، وتعليماته، وعدد من الكُتَّاب، ومهمَّتهم مُعاوَنة الخليفة في إدارة شؤون الدولة، كما ضمَّ النظام الإداريّ مَنصِب الحاجب، وساعي البريد، ورجال الشُّرطة، وعدداً من الدواوين.

النظام القضائيّ:

إذ ضمَّت دولة المُوحّدين نظاماً قضائيّاً قويّاً كانت مهمَّته الفصل بين المُتنازِعين، والمحافظة على الأمن في الدولة، إذ يتمّ تعيين القُضاة بأمر من الخليفة، وهم على صِنفَين: قاضي الجماعة؛ وهو الأعلى رُتبة، ويُمثِّل مُستشار الخليفة، وقاضي المُدُن؛ وهو الذي يحكم في المسائل القضائيّة الداخليّة، كما يُوجَد ما يُعرَف ب(المظالم)، ومَهمَّتها الفصل في القضايا التي عَجِز القضاء عن حلِّها

النظام العسكريّ:

ضمَّت دولة المُوحِّدين جيشاً قويّاً استطاع الحفاظ على أَمن الدولة، واستقرارها في عهد الخُلفاء الثلاثة الذين اهتمُّوا بالجانب العسكريّ، وقد تشكَّل الجيش المُوحِّدي من قبائل أمازيغيّة، وعربيّة، وقبائل الزناتة، والصنهاجة، وغيرها من القبائل الأخرى، أمّا قِيادة الجيش فقد كانت في يَد أبناء الخُلفاء، أو الشيوخ، أو أبناء الشيوخ.

أسباب سُقوط دولة المُوحِّدين:

هناك عِدَّة أسباب رئيسيّة مهَّدت الطريق لسُقوط دولة المُوحّدين، ومن أهمّ هذه الأسباب:

١- **الاعتداد بالرأي:** حيث ابتعد الخليفة الناصر عن تحقيق مبدأ المشورة، والاستماع إلى نُصح حُكماء، وشُيوخ دولة المُوحِّدين، واستبدَّ في رأيه، وممّا يُؤكِّد ذلك عدم استماعه إلى نُصح الشيخ (أبي حفص) بعدم ذهابه للقتال في الأندلُس.

إطالة حصار شلبطرة: إذ حاصر الخليفة الناصر حصن شلبطرة لمُدَّة طويلة بلغت نحو ٨ أشهر، وقد كان لذلك نتائج سلبيّة كثيرة، من أهمّها: تأثُّر الجُنود المُوحِّدين؛ بسبب دخول الشتاء عليهم، ونفاد تموين المسلمين، ممّا أضعفَهم، وقلَّل من عزيمتهم لدُخول الحصن، ومن ناحية أخرى، استطاع النصارى استعادة قُوَّتهم، والتحضير لقِتال المسلمين، ووصول الدعم الصليبيّ من شرق أوروبّا

٢- **الاغترار بالعدد:** حيث اغترَّ الخليفة الناصر بعتاده، وكثرة جُنوده، علماً بأنّه أهمل تنظيمهم، وتقوية عزائمهم، ممّا أضعف جيش الدولة أمام جيش ألفونسو الذي كان

مُنظَّماً، وقويَّ العزيمة .

استكمال الفتح :

انتهز جماعة من الزعماء الأندلسيين فرصة انشغال المرابطين بحرب الموحدين بالمغرب، فثاروا على ولاتهم التابعين لدولة المرابطين، وأعلنوا أنفسهم حكامًا واستبدوا بالأمر، وتنازعوا فيما بينهم يحارب بعضهم بعضًا.

فلما تمكن عبد المؤمن بن علي من بسط نفوذه على المغرب بدأ في إرسال جيش إلى الأندلس سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م)، فاستعاد إشبيلية واتخذها الموحدون حاضرة لهم في الأندلس، ونجح يوسف بن علي قائد جيش الموحدين من بسط نفوذه على بطليوس وشمنترية، وقادس، وشلب، ثم دخلت قرطبة وجيان في طاعة الموحدين سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، واستعادوا "المرية" سنة (٥٥٢هـ / ١١٥٧م) من يد الأسبان المسيحيين، وبذلك توحدت بقية الأندلس الإسلامية تحت سلطانهم، وعين عبد المؤمن ابنه "أبا سعيد عثمان" واليًا عليها.

وفي سنة (٥٥٥ هـ = ١١٦٠م) أمر عبد المؤمن ابنه ببناء حصن ومدينة على سفح جبل طارق الذي سُمّي بجبل الفتح –ولا تزال قطعة من هذا البناء باقية إلى اليوم في جبل طارق وتعرف بالحصن العربي– وعلى إثر ذلك عبر عبد المؤمن من طنجة إلى الأندلس ونزل بجبل الفتح، وأقام شهرين أشرف خلالهما على أحوال الأندلس ثم عاد إلى مراكش.

وقبل أن يعبر عبد المؤمن إلى الأندلس كان قد تمكن في سنة (٥٤٧ هـ = ١١٥٢م) من فتح المغرب الأوسط وضم إلى دولته الجزائر وبجاية وقلعة بني حماد، وجعل ابنه عبد الله واليًا على المغرب الأوسط، وعهد إليه بمواصلة الفتوح شرقًا، فنجح فيما عُهد إليه، كما نجح في القضاء على النورمانديين الصليبيين وطردهم من تونس التي كانوا قد احتلوها .

وفي أواخر أيام عبد المؤمن حدث تمرد في شرق الأندلس، فأسرع إلى هناك وقمع الثائرين وقضى على الفتنة، ثم عاد إلى المغرب، وعندما وصل إلى "سلا" نزل به المرض، ولم يلبث أن توفي في (٥٥٨ / ١١٦٢م) ودفن في "تينملل" بجوار قبر المهدي بن تومرت.

المصادر والمراجع:

١- صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب و التداعيات، صفحة ٤٨ .

٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون – دار الكتاب اللبناني (بيروت ، ١٩٨١م)

محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – مكتبة الخانجي، (القاهرة ١٩٩٠م) .

٣-حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته – العصر الحديث للنشر والتوزيع ، (بيروت، ١٩٩٢م) .